المتطرفة رقم واحد في فرنسا تثير زوبعة من ردود الفعل الاستنكارية

لوبن تواصل حربها على الحجاب والمساجد في فرنسا

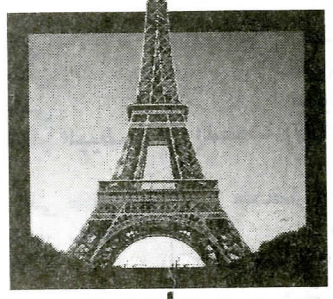

من باريس

بعد غياب طويل، وبعد أن تغيرت الخريطة السياسية في فرنسا، خرجت مارين لوبن زعيمة الجبهة الوطنية اليمينية المتطرفة من حلقة الصمت التي دخلتها بعد أن خسرت الانتخابات الرئاسية والتشريعية، لتثير زوبعة من ردود الفعل المستنكرة والمندة بدعوتها إلى حظر الحجاب في « جميع المحلات التجارية ووسائل النقل وحتى الشوارع »، ووقف بناء المساجد . . ومثل هذه الدعوة، تفضح بقوة مخططات التذويب التي ترسمها بعض الدوائر العنصرية، لإرغام المهاجر المسلم على حمل ثقافة البلد المضيف ولو جزئيا، وعزله وتمييزه تدريجيا كي يحتضر شيئا فشيئا في إطار ما يمكن تسميته بالعنصرية الهادئة أو المقنعة . . وصراع العلمانية والهوية الذي يشعل اليمين المتطرف فتيله في غمرة التظاهرات العارمة التي تعم العالم الإسلامي، احتجاجا على بث فيلم أمريكي مسيء للإسلام، ونشر رسوم كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد (ص) في مجلة شارلي ايبدو الفرنسية الساخرة، يؤكد حجم الأرق الذي يعاني منه خصوم الإسلام الذين يجرمون، تارة الحجاب، وتارة البرقع، وتارة المآذن، وإن كانت صامته ممنوعة من رفع الآذان، من دون فهم أو تفهم لهذا الدين، ومن دون استيعاب دلالاته الروحية لدى المسلمين دون تخوف من أي مد، أو أي ضرر قد يلحق بالهوية والعلمانية التي تنشدها فرنسا.

■ باريس أحمد الميداوي ■

اختارت مارين لوبن «الأصولية رقم واحد» في فرنسا، حسب تعبير، فانسان بيون، وزير التربية الوطنية، صحيفة «لوموند»، لتتهجم على الإسلام والمسلمين في حوار نشر أول أمس /الجمعة/، وهو اليوم الذي منعت فيه السلطات الفرنسية أية مظاهرة أو تجمع بعد الصلاة، وقررت إقفال جميع مؤسساتها التعليمية وسفاراتها في 20 دولة حول العالم، وطلبت من رعاياها في عدد كبير من الدول البقاء في منازلهم تخوفا من ردود فعل انتقامية على الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد(ص).

وقد أثارت زعيمة اليمين المتطرف زوبعة عنصرية بمطالبتها بحظر ارتداء الحجاب في الأماكن العامة بما في ذلك، المحلات التجارية ووسائل النقل وحتى الشوارع، والتوقف منذ اليوم عن تمويل المساجد، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء كان التمويل محليا، أو أجنبيا، باستثناء الحالات المحددة في اتفاقيات المعاملة بالمثل.. وقالت «من البديهي إنه، إذا ما منعنا ارتداء الحجاب، فعلينا أن نمنع اعتمار القلنسوة (الطاقية اليهودية) في الأماكن العامة»، مناشدة في السياق نفسه، الجالية اليهودية إلى تفهم مطلبها، رافضة التمييز بين الحجاب الديني والحجاب المدني بقولها، «الحجاب ممنوع» قبل أن تستدرك، «يمكننا التمييز بين حجاب يحمل معاني دينية، وحجاب للزينة».

واعتبرت مسألة الرسوم الكاريكاتورية التي نشرتها مجلة «شارلي إيبدو» مؤشرا لـ«محاولة السلفيين في فرنسا بسط هيمنتهم السياسية والدينية»، ودعمت حرية الرأي والنشر من حيث المبدأ. وقالت، إن «العلمانية هي قيمة لا تقبل أي جدل مثلها، مثل الحرية».

واعتبرت ردا على سؤال بشأن ردود الفعل على تدنيس المقابر، بأن تلك الردود تأتي بمعيارين «إذ أن 95 في المائة من المقابر التي تدنس هي كاثوليكية ولا نقرأ أو نسمع سطرا واحدا في هذا الشأن، ولكن يكفي أن يدنس مربع في مقبرة إسلامية كي تقوم موجة استياء واستنكار عارمتين في كل أرجاء فرنسا».

دعوة للتقسيم والتعزيق

ولم تتردد في القول، إنها مستعدة في حال ما كانت في الحكم لـ«طرد كافة السلفيين الأجانب من الأراضي الفرنسية»، وتعديل الدستور بشكل ينص على أن الدولة «لا تعترف بأية طائفة».

وتأتي هذه التصريحات العنصرية في غمرة التظاهرات العارمة التي تعم العالم الإسلامي، احتجاجا على بث فيلم أمريكي مسيء للإسلام ونشر رسوم كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد (ص) في مجلة شارلي ايبدو الفرنسية الساخرة، لتثير زوبعة من ردود الفعل المنددة والمستنكرة، وفي طليعتها الرئيس فرنسوا هولاند الذي كان في طليعة منتقدي زعيمة اليمين المتطرف، واصفا دعوتها هذه بأنها دعوة «للتقسيم والتفريق والتمزيق» وخطأ بحق الوطن». فيما وصل الأمر بأحد وزرائه إلى اتهام لوبن بـ«الأصولية».

وقال على هامش تدشين نصب تذكاري لضحايا المحرقة النازية في درانسي (شمال شرق باريس)، إن «كل ما يمزق ويقسم ويفرق، هو أمر مرفوض بالمرة، لذلك من الضروري تطبيق القواعد، والقواعد الوحيدة التي نعرفها هي قواعد الجمهورية والعلمانية».

وتوالت ردود الفعل الشاجبة لهذه الدعوة باتهام فانسان بيون، وزير التربية الوطنية، زعيمة اليمين المتطرف بـ«صب الزيت على نار الأصوليات»، وهي «الأصولية رقم واحد في فرنسا». ورأى في «كل هذه الترهات» عنوانا للكراهية والظلامية». وقال «هذا وقت توحيد الصفوف والتحلي بمزيد من التسامح حيال بعضنا البعض، والارتقاء إلى مستوى الأخوة والقول معا، لا لهذا الخطاب الحقود والتقسيمي».

صب الزيت على النار

التنديد نفسه عبر عنه حزب اليمين التقليدي، الاتحاد من أجل حركة شعبية، على لسان رئيسه المؤقت، جان فرنسوا كوبيه الذي أكد أن دعوة لوبن «تخلط بين العلمانية واجتثاث الأديان»، فيما رأى مرصد مكافحة معاداة الإسلام في تصريحات مارين لوبن مجرد «ترهات»، الهدف منها «صب الزيت على النار والتسبب في اندلاع مشاكل بين مكونات المجتمع».

وتشابهت ردود فعل كل من المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا، والمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية. ففيما أدان الأول، تصريحات تنم عن «تعصب»، أكد الثاني، أنها دعوة إلى «قيام نظام أحادي في فرنسا»

وكانت لوبن أكدت في برنامجها للانتخابات الرئاسية التي خسرتها في 2012 أنها ستعمل إن فازت على حظر «ارتداء الحجاب وسائر الرموز الدينية»، ولكنها حصرت نطاق الحظر الذي اقترحته في «الإدارات العامة».

وفرنسا هي أول بلد أوروبي يحظر النقاب في الأماكن العامة. ويحظر القانون الفرنسي حاليا إخفاء الوجه، سواء بحجاب أو نقاب أو شال في الأماكن العامة، أي الشارع والحدائق العمومية، والمحطات والمتاجر.

وكانت اليمينية المتطرفة قد أثارت أيضا موجة من الاحتجاجات في دجنبر من السنة الماضية عند إجرائها مقارنة بين «صلوات الشوارع» التي يقيمها المسلمون في شوارع فرنسا، وبين احتلال الجيش الألماني لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. وقد صرحت آنذاك: «قبل 15 عاما جاءنا الحجاب، وأخذ الحجاب يتزايد. ثم جاء النقاب وأخذ النقاب يتزايد. والآن توجد 10 إلى 15 أمكنة يأتيها عدد من الناس للهيمنة على أراضينا وشوارعنا.. نحن نعيش فعلا احتلالا لأراضينا.. بالطبع لا توجد مدرعات ولا يوجد جنود، لكنه يظل احتلالا ينتزع منه المواطنون».

> لوبن: تطالب الجالية العربية بتغيير الأسماء العربية للأبناء، إلى أسماء فرنسية، حتى يتمكنوا من ولوج سوق العمل بسهولة!!

معركة الحجاب التي لاتنتهي

وتمنع فرنسا ارتداء الحجاب في المدارس العامة والمؤسسات الحكومية والمستشفيات بموجب قانون حول العلمنة صدر في 15 مارس 2004، ويعتبر بعض حالات ارتداء الحجاب، وخاصة في المؤسسات التعليمية وفي شبابيك الاستقبال، أمرا عدوانيا. وقد تحول حجاب المرأة المسلمة في السنوات الأخيرة إلى ظاهرة لافتة للنظر في بلدان أوروبا الغربية، وخاصة فرنسا، حيث لم يعد اللباس الإسلامي المحتشم خاصا بالجيل الأول من النساء المسلمات اللواتي اصطحبن أزواجهن ممن هاجروا خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي طلبا للرزق والعمل، بل تحول إلى لباس لبناتهن صغيرات السن، من اللواتي دخلن المدارس والجامعات، وتحتل بعضهن اليوم مواقع عمل مرموقة في بلدان الهجرة. ولا تخلو شوارع المدن الكبرى في فرنسا اليوم، من عدد كبير من النساء المسلمات المحجبات من مختلف الأعمار، وخصوصا من الأجيال الشابة للجالية المسلمة.

وتشغل المعركة حول الحجاب في مدارس فرنسا ومؤسساتها العمومية يوما بعد يوم حيزا مهما من اهتمام الفرنسيين، وتزداد القضية كل مرة سخونة بالتصريحات المستفزة لبعض الشخصيات السياسية والدينية تجاه جالية ترى في حظر الحجاب إهانة لمسلمي فرنسا، وتدخلا سافرا في الحريات الشخصية التي تقرها العلمانية ذاتها.

وكان باراك أوباما، الرئيس الأمريكي، قد دافع في صيف 2009 في الخطاب الموجه للعالم الإسلامي من جامعة القاهرة، عن الحجاب وعن اللباس الإسلامي وحرية ارتدائه، وانتقد في الوقت نفسه، بعض الدول الغربية على محاولة فرض لباس معين على المرأة المسلمة بقوله :«من المهم بالنسبة إلى الدول الغربية أن تتفادى منع المواطنين المسلمين من ممارسة ديانتهم كما يشاءون، عبر فرض الثياب التي على المرأة ارتداءها»، مؤكدا على وجوب أن «تمتنع البلدان الغربية عن وضع العقبات أمام المسلمين لمنعهم من التعبير عن دينهم على النحو الذي يعتبرونه مناسبا».

58 ٪ مع نشر الرسوم

ويبني حزب مارين لوبن برامجه الانتخابية على معاداة صريحة للهجرة والعمل على الوصول بها إلى الصفر، باعتبارها إفقارا لفرنسا وتهديدا لثقافتها وهويتها. ويقول الحزب بترحيل المهاجرين حتى وإن كانوا متجنسين، والتوقف عن بناء المساجد، والتعامل مع المهاجر من زاوية أصوله وانتمائه الديني وبلده العربي، مما يجعل منه مواطنا أقل فرنسية من غيره.

ومن جهة أخرى، أظهر استطلاع للرأي أن الفرنسيين منقسمون حول الرسوم المسيئة للنبي محمد(ص) التي نشرتها «شارلي إيبدو» الفرنسية الساخرة، حيث 58 % ممن شملهم الاستطلاع يرون أن «حرية التعبير حق أساسي» وأن «حرية الكاريكاتور جزء منها»، مقابل 35 % اعتبروا أنه «لا يمكن قول كل شيء أو رسم كاريكاتور لأي كان، بذريعة حرية التعبير». وأكد 39 % من المستطلعين أنهم «يعارضون نشر رسوم للنبي محمد»، أي تقريبا نفس نسبة الـ37 % الذين يؤيدون نشرها، فيما لم يعرب 24 % من المستطلعين عن أي رأي.

وأيد 71 في المائة من المستطلعين حظر التظاهرات المتوقعة في فرنسا، احتجاجا على الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد(ص) وعلى فيلم «براءة المسلمين» المسيء للإسلام، والذي أثار موجة احتجاجات عنيفة في العالم الإسلامي.

العنصرية الهادئة

أطلقت زعيمة «الجبهة الوطنية» على القناة الفرنسية الثانية، تحث فيه الجالية العربية على استبدال الأسماء العربية للأبناء، بأسماء فرنسية، حتى يتمكنوا من ولوج سوق العمل بسهولة.

ومثل هذا النداء وما أعقبه من دعوة لحظر الحجاب ووقف بناء المساجد، يفضح بقوة مخططات التذويب التي ترسمها بعض الدوائر العنصرية، لإرغام المهاجر على حمل ثقافة البلد المحتضن، ولو جزئيا وعزله وتمييزه تدريجيا كي يحتضر شيئا فشيئا في إطار ما يمكن تسميته بالعنصرية الهادئة أو المقنعة.

ومن الطبيعي أن تنتج عن ذلك ردود فعل هوياتية، قد تصل أحيانا إلى حد العنف والتصادم. وصراع العلمانية والهوية الذي يشعل اليمين المتطرف فتيله في غمرة التظاهرات العارمة التي تعم العالم الإسلامي احتجاجا على بث فيلم أمريكي مسيء للإسلام ونشر رسوم كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد(ص) في مجلة شارلي إيبدو الفرنسية الساخرة، يؤكد حجم الأرق الذي يعاني منه خصوم الإسلام الذين يجرّمون تارة الحجاب، وتارة البرقع، وتارة المآذن وإن كانت صامته ممنوعة من رفع الآذان، من دون فهم أو تفهم لهذا الدين ومن دون استيعاب دلالاته الروحية لدى المسلمين دون تخوف من أي مد أو أي ضرر قد يلحق بالهوية والعلمانية التي تنشدها فرنسا.

ولا تفرق مارين التي رضعت حليب العنصرية من فكر أبيها، بين الإسلام والهجرة، فتضع الإسلام في خانة ضيقة ومغلقة على النحو الذي يُفهم أنه غير قادر على التحاور والاختلاط مع الحضارة الغربية، بل تذهب إلى حد اعتبار الإسلام دين المهاجرين فقط، لجهلها أو لتجاهلها بأن الإسلام موجود في فرنسا منذ أكثر من قرن، وليس ظاهرة مهاجرة، بل هو عقيدة يدين بها عُشر الفرنسيين وخمس البشرية.